

عُقد مؤتمر دوربان الثاني لمناهضة العنصرية في ٢١ من نيسان الماضي في جنيف، وسط مقاطعة عدد من الدول الغربية، بحجة أن ضميرها الإنساني يصرخ ألماً من سماع ما سوف يقال عن إسرائيل، وعلى اعتبار أنها عاشت تلك اللحظة العصبية في الدورة الأولى للمؤتمر، التي عقدت في جنوب إفريقيا عام ٢٠٠١ فكانت تلك المواقف الاستباقية كحرب بوش على الإرهاب.. لا تحمل من المعاني إلا زيف إدعاءات تلك الدول بأنها دول ديمقراطية، تؤمن بحرية الرأي والاختلاف.

هل يستطيع هؤلاء «أصحاب الضمائر الحية» أن يقولوا لنا أين كانت حميتهم وضميرهم الوجداني، عندما سخر الإسرائيليون من السيد المسيح والسيدة العذراء، ووصفوهما بأوصاف أقل ما يقال فيها إنها عنصرية؟!

هل لهم أن يشرحوا لنا، تحت أية شعارات سامية بُني الجدار العازل في فلسطين المحتلة، لتتحول الضفة الغربية وقطاع غزة إلى سجن كبير...؟ أية شريعة من الشرائع تجيز أن تُحتل أرض الجولان، أمام أبصار من يدعون أنهم الشرعية الدولية، وتُضم بعد ذلك إلى ما يسمى «دولة إسرائيل» المزعومة؟.

توسل العدالة عند هؤلاء ضرب من الجنون، لما يمارسونه من ازدواجية في المعايير، حيث وصلنا إلى حد القرف لكثرة ما تشدقوا به من شعارات فارغة المضمون، كحقوق الإنسان والحيوان والشجر والحجر، وهم من يدعم بشكل علني ويغض الطرف عن ممارسات الكيان الصهيوني العنصرية، وكأن القلب غير القلب والعقل غير العقل واللسان غير اللسان والمبادئ غير المبادئ عند الوصول إلى انتقاد إسرائيل وإدانته.. وفي وقت كنا نتمنى ممن عانى أجداده من العنصرية والاضطهاد، كالرئيس الأمريكي باراك أوباما أن يلتحق ولو شكلياً بالمؤتمر، ولكنه لم يفعل..

ألم يتساءل بعض هؤلاء المنتفعين من وجود إسرائيل، لماذا تجمع كل شعوب الأرض بما فيها شعوب تلك الدول التي قاطعت، على أن إسرائيل هي الخطر الأكبر على الاستقرار والسلام العالمي، لأن وجودها غير طبيعي ضمن جسد يرفض الاستسلام لتلك الحالة المرضية أو قبولها.

مفارقة كبيرة أن تحاضر «الفاسقة» بالعضة وتجد من يصغي لها، هذا ما كان عليه القادة الإسرائيليون عندما أقاموا الدنيا ولم يقعدوها، بعد خطاب الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد في المؤتمر، والذي أشار فيه إلى حقيقة الكيان الصهيوني وعنصريته، فبات أحمدني نجاد نازي وهتلر زمانه، وبيريز قاتل الأطفال في قانا وجنين وغزة رجل سلام.

ما يبشر في واقع الأمر، وبعد كل هذا أن هناك حراكاً عالمياً ضد عنصرية إسرائيل أحدث خلخلة ضرورية في مصطلحات ومفاهيم، كادت أن تصبح من مسلمات الواقع العالمي، الذي يعتبر كل من يشير إلى عنصرية إسرائيل بأنه معاد للسامية، حراك واع بدأ من إستراتيجية دعم كل أشكال المقاومة ضد هذا الكيان، أثبتت نجاعتها الإستراتيجية السورية، والعمل ضمن رؤية إعلامية تسمي الأشياء بمسمياتها.

فهل لقادة «الاعتدال العربي» أن يتلقفوا هذه الحالة المستجدة، لرفض ما فرض على الساحة العربية بالقوة..؟ ولكن لا أدري إن كان هذا سيحصل في ظل صمت عربي مريب حيال ما جرى في المؤتمر، وفي المقابل نرى نتناهو يهنيئ قادة الدول التي قاطعت المؤتمر ويشد على يدها.

## عنصرية استباقية..؟! فاديا جبريل